

محاضرات قضايا النص الشعري القديم

السنة الثالثة - أدب عربي -

الأستاذ : عبد الرحمن مزرق

المحاضرة 01: النزعة القبلية في الشعر الجاهلي

مفهوم العصبية:

لغة :- مشتقة من " العَصَب "، وهو: الطّي و الشّد، و التعصّب المحاماة و المدافعة.

و العَصَبَة: الأقارب من جهة الأب، و عصبه الرجل: أولياؤه الذكور من ورثته، سمّوا عصبه لأنهم عصبوا بنسبه، أي: أحاطوا به. و العرب تسمى قرابات الرجل: أطرافه، و لمّا أحاطت به هذه القرابات و عصبت بنسبه، سمّوا: عصبه، و كل شيء استدار بشيء فقد عصب به.

و العصبه و العصابة : الجماعة ، و منه قوله تعالى: « وَنَحْنُ عُصْبَةٌ » يوسف⁸ ومنه

حديث: « اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، لاتعبد في الأرض».

و عَصِيب: شديد، و منه قوله تعالى: « هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ » هود⁷⁷

اصطلاحاً :

قال الأزهري في " تهذيب اللغة "، و العصبية: أن يدعو الرجل إلى نصره عَصَبَتَهُ و التآلب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين.

و عرّفها ابن خلدون بأنّها: "النُّعرة على ذوي القربى و أهل الأرحام أن ينالهم ضيم، أو تصيبهم هلكة...ومن هذا الباب الولاء و الحلف"

و عرّفها بعضهم، بأنّها: " رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية و لاشعورية معا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، ربطا مستمرا، يبرز و يشتدّ عندما يكون هناك خطر".

أو هي التلاحم بالعصب، و الالتصاق بالدم، و التكاثر بالنسل، ووفرة العدد، و التفاخر بالغلبة و القوّة و التطاول.

وهناك من الباحثين من فسّرها بأنّها: "رابطة الدّم"، أو " تكاثف اجتماعي" أو "تضامن قبلي".

والقبليّة: نسبة إلى القبيلة، و القبيلة من النّاس بنو أب واحد، يقال لكل جماعة من أب واحد: قبيلة.

و الناظر في النظام الاجتماعي عند العرب، يدرك أنّ هذا المفهوم كان واسعا في الجاهلية، ثم هدّبه الإسلام، فأقرّ بعضه، و نهى عن بعض، وتتمثل سعة النظام الجاهلي في قبول انضمام أفراد للقبيلة لا ينتمون إلى أبيهم.

ومن صور ذلك:

1-المستعربون: وهم من خالطوا العرب، فاستعربوا، و من ذلك اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، مع قبيلة جرهم.

2-الحلفاء من داخل جزيرة العرب: وهم الذين استقروا مع قوم من قبيلة غير قبيلتهم فحالقوهم فصاروا منهم.

3-الموالي: وهم من طالهم السّبي، إمّا نتيجة الحروب، أو لسبب آخر .

4-التبني: مثل ما كان مع زيد بن حارثة، وقد حرّمه الإسلام بعد ذلك.

ومن هنا فإن العصبية القبليّة: هي تضامن قوم تجمعهم آصرة النسب أو الحلف مع نصرّة بعضهم بعضا ضدّ من يناوئهم، ظالمين كانوا أم مظلومين، و قد سأل وائلة ابن الأسقع رسول الله -ص- عن العصبية؟ فقال: " أن تعين قومك على الظلم".

مظاهر العصبية القبليّة في العصر الجاهلي:

لقد كانت العصبية هي أساس النظام الاجتماعي الجاهلي، وهي داعية إلى نصرّة المنتسب إلى القبيلة دون اعتبار لكونه محقّا، أو غير محق، فجنسية العربي في الجاهلية هي جنسية القبيلة المنحدر منها، وهويته هي اسم هذه القبيلة.

و بما أنّ هذه العصبية هي أساس هذا النظام الاجتماعي فقد تأصلت في النفوس بعمامة و الأعراب منهم بخاصة لطبيعة معيشتهم البدوية الخشنة، و تجلّت في كثير من نواحي حياتهم، و أشعارهم وقد كان من أهم مظاهرها:

1- الفخر بالأحساب و الطعن في الأنساب:

نجد صدى ذلك في قول معاوية بن مالك:

إني امرؤ من عُصبة مشهورة حَشَدَ لَهُم مَجْدٌ أَشَمُّ تَلِيدُ
أَلْفُوا أَبَاهُمْ سَيِّدًا و أَعَانَهُم كَرَمٌ و أَعْمَامٌ لَهُم و جَدُودُ
إِذْ كُلٌّ حَيٍّ نَابِثٌ بِأُرومة نَبَتَ الْعُضَاهُ فَمَاجِدٌ و كَسِيدُ

وعلى هذا المنوال قال سلامة بن جندل السّدي:

إني امرؤ من عصبه سعية ذِ رَبَى الْأَسْنَةِ كُلَّ يَوْمٍ تَلَاقِي
لَا يَنْظُرُونَ إِذَا الْكُتَيْةَ أَحْجَمَتْ نَظَرَ الْجَمَالِ كُرْبَنَ بِالْأَوْسَاقِ

إنّ اعتزاز العربي بنسبه جعله يحنح إلى الغلو، فلا يرى نسبا يضاهي نسب قبيلته، فقد ورد أن بدر بن معشر – من بني مدركة – وقف في الجاهلية بسوق عكاظ يفتخر بنسبه:

نحنُ بني مدركة بن خندف من يَطْعُنُوا فِي عَيْنِهِ لَمْ يَطْرَفْ
ومن يكونوا قومه يَغْطُرُفْ كَأَنَّهُ لُجَّةُ بَحْرِ مُسَدَفْ

ثم مدّ رجله و قال: أنا أعز العرب، فمن زعم أنّه أعزّ مني فليضربها.

فلم يطق الأحمر بن مازن الهوازني عنجهيته فضربها غير مبال بحرمة الشهر الحرام.

2- الطبعية:

3- الأخذ بالتأثر: وهو معنى من المعاني التي تعبر عن روح العصبية عند الجاهلي. و هذا الخلق على ما فيه من شرّ - يتصل بكرامة العربي التي تدفعه إلى أن يقتص بنفسه من المعتدين و هذا المعنى يستتبع ضروبا من الشجاعة، و الرجولة، و الاستبسال، جعلت حصونهم ظهور خيلهم ، و جنتهم السيوف، و عُدتّهم الصّبر.

4- الحروب: و إجابة المستغيث المنادي هي مظهر أساس من مظاهر القبلية، فحين ينادي أحد قومه يجاب دون النظر إلى طبيعة موقفه أو فعله، و هل هو ظالم أو مظلوم.. و من ذلك قول قُريظ بن أنيف أحد بني العنبر:

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
وهناك مظاهر أخرى تتمثل في :

- التحاكم إلى أهواء المشايخ و الكهّان

- التنقص من قدر القبيلة التي لا تسعى إلى الشرّ كقول الشاعر:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَ لَا يَظْلَمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

فهذا البيت جاء في غرض الهجاء لهذه القبيلة.

- الإحساس بالتفوق الحسّي و المعنوي، ورد الصاع صاعين و منه:

أَلَا يَجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلُ فَوْقِ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

- التقليد في الباطل، و اتباع طريقة الآباء دون تمييز، كما قال تعالى: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا

عَلَىٰ أُمَمٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ»  الزخرف 23 وغير ذلك.

المحاضرة 02:

نزعة التمرد في شعر الصعاليك:

شعر الصعاليك هو وجه آخر من وجوه الشعر الجاهلي، ملتزم بنمط معين و متن معين، و شعراؤه طبقة معينة كذلك.

ومن خلال هذا الشعر تعددت الرؤى لطبيعة الإنسان في ذلك العصر، و ربّما من خلال هذا الشعر كان باستطاعتنا إزالة بعض الغموض الذي ميّز العصر الجاهلي في تناقضاته الاجتماعية و الثقافية.

لقد درج المؤرخون على تبني نصوص سلطة القبيلة وتوجهاتها، و هذا ما يعارضه بعض الباحثين و النقاد، الذين يرون في شعر الصعاليك، شعر معارض للقبيلة و مفاهيمها ومن تمّة فإنهم دعوا إلى إعادة النظر جذريا في التّهم و القراءة الخاطئة لهذا الشعر، لأنّ هذه القراءة و فقط صادرة عن السّلطة ، وليست صادرة عن النصّ الصلوكي.

في حين أن الأدب يجب أن يكون هو الحياة برمّتها، بصرف النظر عن موقف هذا أو ذاك، كما أن الأدب الخالد هو الذي يقف دائما موقفا حرا. و ربّما هذا كان موقف الصعاليك الذين تحدّوا سلطة القبيلة و أعرافها. ورفضوا عملية التدجين التي تمارسها، انطلاقا من عشقهم للحرية و الانطلاق، فهم بذلك يرفضون الكذب و النفاق و يسمّون الأشياء بمسمياتها و لا تأخذهم في ذلك لومة لائم.

ولهذه الأسباب ولغيرها ، كان لزاما على الباحثين ردّ الاعتبار لهذا الشعر و قراءته قراءة جديدة ، تزيج عنه غبار الكتابات السلطوية غير النزيهة التي كانت تحاول دائما تشويهه وطمس معانيه النبيلة.

فالشعر الحقيقي الخالد هو صاحب التعبير عن الحقيقة كما هي، وليس ذاك الذي يكون عبدا وبوقا للحكم أو السلطان.

ومن القراءة الحديثة المثمرة في هذا الشأن : التمعن في نزعة التّمرّد التي ربّما كانت تأسيسا قويّا لتيارات فكرية و ثورية عرفها التاريخ بعد ذلك.

و النقاد الذين كانوا ينزعون إلى التجديد كانوا يرون في شعر الصعاليك مثالا، لأنّه قبل أن يكون خروجا عن القبيلة/السلطة بحثا عن الحرية، كان خروجا عن القصيدة العربية وموضوعاتها الجاهزة المتآكلة من شدّة التداول.

و ربّما هذا ما عناه عنتره حين قال : " هل غادر الشعراء من متردّم".

وعليه فإننا لا نجد المعجم الطللي عندهم إلّا نادرا، ربّما لأنهم لا يريدون تطبيق المعايير الفنية التقليدية التي تمثل في أعينهم القبيلة، و التي هي مرفوضة عندهم بقيمتها و تاريخها وطقوسها.

ولذلك نستطيع القول أن ظاهرة الصعلكة فريدة في الأدب العربي، و هي تحتاج فعلا إلى دراسات تبعد عنها الأكاذيب التاريخية التي لفتتها السلطة لهذا الأدب، لتبعده عن عرقلة سيرها كما يفعل بأي معارضة في التاريخ.

ثم أنّ هذا الشعر لابدّ أن لا يقرأ في بضع أبيات ضمن الشعر الجاهلي العام، لأن ذلك طمس لتفرده، و قتل لقيّمته الفنية التي أبدعها أمثال : عروة بن الورد و الشنفرى، و السليك، و تأبط شرا.. وغيرهم، فتحليل شعر الجاهلية ضمن القصائد الطوال و شعراء القبيلة تحليلا شموليا، أحدث شرخا و خلا في جوانب أخرى من هذا التراث الزاخر بالفنون المتعددة و الرؤى.

إنّ طبيعة هذا الشعر تختلف في كثير من الجوانب عن طبيعة الشعر الجاهلي برمّته. وهو الشيء الذي يدعونا إلى رصد ملامح الشعرية فيه، لاستكشاف المصدر الأصلي للحقيقة الضائعة أو المغمورة أو المسكوت عنها.

ومن الموضوعية بمكان أن نقرأ في هذه الذاكرة، حتى ندرك الفرق بين الصعلكة الواقعية التي أسّس لها اللّغويون و النحاة، و بين الصعلكة الشعرية التي نسعى إلى البحث عنها و إدراكها، و بالتالي نميّز بين صورة الصعلوك التي شوّها التاريخ القبلي السلطوي. و بين صورة الصعلوك التي يحتفي بها الشعراء الصعاليك، و التي أغفلها الرّواة.

إنّ شعر الصعاليك أصبح يعبر عن حياة جديدة ألفها أصحابها بطبيعتها ووحشها، و أضحى " الأنا الفردي" طاغيا، و انتفى ضمير القبيلة من قاموسهم، و إن ورد ضمير الجمع فهو " الأنا الجمعي" الذي يعبر عن تجمع الصعاليك ليس إلّا. و تلك رابطة جديدة تصنّفهم بحسب المبدأ و الحرفة. وهو تعبير عن التكتل و التّجمع و التمرد ، هذا التمرد الذي حرّر الصعاليك من سلطة القبيلة، فجاء شعرهم ليمزّق هذه السلطة و يخرق حجابها ، و صنع كل واحد منهم فرديته، إلى جانب شخصية الجماعة دون الذوبان فيها. و من هنا وقع الاختيار على الأسمى، و الأعلى، و الأرقى، و الأخوف، و المهول: على الجبل، و الفلاة، و القمة، و الوحش ، و الغول.

و لي دونكم أهلون، سيد عمّس و أرقط زهلول و عرفاء جيأل

المحاضرة 03

أثر الإسلام في الشعر العربي القديم

لقد أحدث الإسلام نقلة هائلة في الحياة العربية بكل جوانبها، كان لها أبلغ الأثر على العقلية و السلوك من خلال الإشعاع القرآني المعجز و هدي النبي -ص- الذي كان تجسيدا عمليا لما جاء في هذا الكتاب العظيم.

و لا غرابة أن يكون الشعر قد أصابه نصيب من هذا التأثير بالحياة الجديدة التي أحدثها الإسلام، بصفة كون الشعر المعبر عن مشاعر الناس و المجسد لما يجول في أذهانهم و أفكارهم.

وقد تمثل تأثيرا الإسلام في كل الفنون الشعرية التي كانت تسود عصر صدر الإسلام و الدولة الأموية، و في خصائص الشعر الفنية، من حيث الألفاظ و المعاني و الأفكار و الصور و الأخيلة.

وربما كان الإسلام العامل الأول في ازدهار ذلك الشعر و تكامله، لا كما يشيع بعض الباحثين من ضالة تأثير الإسلام في الشعر ، أو إضعافه له.

إنّ الشعر ديوان العرب، و من هنا كانت أهمية الشاعر الذي يعبر عن وجهة النظر بأسلوب شعري تتناقله الرواة و تحفظه القبائل، حتّى أصبح ضرورة للحياة العربية. "وكانوا لا يهنؤون إلاّ بسلام يولد، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج" كما قال ابن رشيق.

والعرب تنشد الشعر للغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها و ذكر أيامها و أوطانها و فرسانها ،لتهزّ نفوسها إلى الكرم و تدلّ أبناءها على حسن الشيم.

" ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

وقد قال ابن سلام : " كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم و منتهى حكمهم، به يأخذون و إليه يصيرون". ومن هنا فلا يعتقد عاقل أن الإسلام الذي جاء ليتمّم مكارم الأخلاق سينبذ الشعر جملة وفيه مثل هذه الخصال التي تدعو إلى المكارم و تحفظها.

وكان للشاعر بين الناس خطر عظيم، فهم يتحاشون هجاءه وهم يتوددون مديحه، وقد نهوا عن أن يتعرض أحد لشاعر خشية لسانه. فقالوا: " لا ينبغي لعاقل أن يتعرض لشاعر، فربما كلمة جرت على لسانه، فصارت مثلا آخر الأبد".

ولذلك كانوا إذا أسروا شاعرا شدّوا لسانه، كما صنعوا بعبد الله بن وقاص الحارثي الذي أسرته بنو تميم فقال:

أقول و قد شدّوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا من لساني

و أمّا بيت الأعشى :

نفى الدّم عن آل الملق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

فقد رفع الملق و آله إلى عل، بعد ضعة وضيق. وربما هذا ما فعله الحطيئة مع بني أنف الناقة حينما قال:

قوم هم الأنف و الأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

وروي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم، حتّى خالطهم أهل الحضرة، فاكتسبوا بالشعر، فنزلوا عن رتبتهن.

وكان الرجل لا يسمى الكامل إلا إذا كان يكتب ، ويحسن الرّمي و يحسن العلوم، و يقول الشعر.

و كانوا يسمّون الشاعر العالم و الحكيم.

دعوى ضعف الشعر الإسلامي:

لقد أشاع بعض الباحثين و المستشرقين فكرة ضعف الشعر العربي بعد مجيء الإسلام، مستندين إلى أحكام أطلقها بعض الرواة و النقاد في القرنين الثاني و الثالث الهجريين، فقد تناقلوا الآية الكريمة: « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٣٤﴾ »

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ .»

وتناقلوا حديث الرسول -ص- : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خير من أن يمتلئ شعرا"

وقالوا : إن عمر بن الخطاب قال: كان الشعر علم قوم لم يكن علم أصبح منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، و تشاغلو بالجهاد و غزو فارس و الروم، و لهيت عن الشعر و روايته.

و ردّدوا قول الأصمعي: إنّ الشعر نكد بابه الشرّ.

وقول ابن خلدون:" انصرف العرب عن الشعر أوّل الإسلام بما شغلهم من أمر الدّين و النّبوة و الوحي."

و لتأكيد مقولة ضعف الشعر بعد الإسلام يورد هؤلاء الباحثون القول بأن شعر حسان بن ثابت لان وضعف في الإسلام و أن بعض الشعراء انصرفوا تماما عن قول الشعر بعد الإسلام مثل لبيد بن ربيعة.

و في المقابل هناك فريق من الباحثين، رفضوا القول بضعف الشعر الإسلامي، و أكّدوا نهضة الشعر و أنّها استمرت بعد الإسلام .إن لم تكن قد تقدمت خطوات، بما هيأ لها من أسباب التقدم و النّهوض. فابن خلدون مثلاً: يفضل شعر الإسلاميين على شعر الجاهليين و يرى أن كلام الإسلاميين أعلى طبقة في البلاغة و أدواقها من كلام الجاهليين في منثورهم و منظومهم.

والسبب في ذلك أنّ هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام من القرآن و الحديث، اللّذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما.(...) فكان كلامهم في نظمهم و نثرهم احسن ديباجة، و أصفى رونقا من أولئك، و ارفع مبنى و أعدل تنقيفا، بما استفادوا من الكلام العالي الطبقة".

وممن قال بنفي مقولة ضعف الشعر الإسلامي من المحدثين عمر فروخ، و الدكتورة بنت الشاطي، و نالينو.

و قد اتخذ بعض الباحثين طريقا وسطا بين القائلين، " فيوسف خليف" يقول : " ولسنا ندّعي أنّ القرآن صرف العرب جميعا عن قول الشعر، أو أنه أخرج حتّى أسنتهم، و إنّما الذي نقرّره هو أنه أضعف من سيطرته على المجتمع الأدبي الإسلامي بعد أن كان هو اللّون الأساسي في الحياة الأدبية الجاهلية.

إنّ الفكرة القرآنية الجديدة قد أحدثت في النفس شيئا ذا خطر في حياة المجتمع الجديد.

و أمّا أن القرآن قد حطّ من الشعر ، وقلّ من قيمته، فهذا شيء لا يمكننا أن نسلم به، خاصّة و نحن نقرأ ذلك الإستثناء في أمر الشعراء، الذي يدلّ على أنّ المذموم من الشعر إنّما هو العدول من جهة الصواب إلى الخطأ و الظلم و الجور ، و إذا ارتفعت هذه الصّفات ارتفع الدّم.

أمّا حديث الرسول-ص- عن الشعر فقد استشهد به ناقصا، فقد روى عن السيدة أم المؤمنين- عائشة- رضي الله عنها ، أنها استنكرت ذلك ، و قالت: لم يحفظ أبو هريرة ، إنما قال رسول الله -ص- : "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا و دما خير له من أن يمتلئ شعرا هجيت به " .

و غير صحيح أنّ الشعر نكد لا يقوى إلّا في الشر، كما ذهب الأصمعي وردّده بعض المحدثين، فهذا الرأي يخالف رأي النّقاد الذين يجمعون على أنّ القوّة و الضعف مردّهما إلى طبيعة الشاعر و موهبته، وصدق عاطفته، فكما تنفعل النفس بعوامل الشرّ تنفعل أكثر بعوامل الخير.

وقد كان الجهاد و الفتوحات و الغزوات من أكثر الرّوافد التي أمّدت الشعر الإسلامي بالمعاني الجديدة و الأفكار البديعة و الأغراض الطريفة.

و حتّى النبي -ص- كان يطرب لقول الشعر و يعرف له خطره في النفوس، و قد نصّب لحسان منبرا ينشد فوقه الشعر في مسجده و في حياته، و أنه زوّجه من أخت زوجته ماريّا القبطية، وذلك لمواقفه الشعرية التي كانت تنافح عنه و عن الدّعوة الجديدة. و من يتعمق في ديوان حسّان يجد أنّ فحولة شعره لم تفارقه في جاهليته و إسلامه، و لاشك أن ما يظهر من لين في بعض إسلامياته ليس أصيلا، بل منحولا دُسّ عليه .كما ذهب إلى ذلك الأصمعي.

لقد بات واضحا عند النقاد و الباحثين كيف أن الإسلام أوجد مواضيع جديدة ليكتب فيها الشعراء، و أظهر شعراء جدد ملهمين بالدين الجديد، و هذا كاف لوقف جميع المزاعم التي تدّعي أن الإسلام أثر سلبا على الشعر و الشعراء.

و لا يمكننا إنكار تأثر الشعراء بالقرآن الكريم، و انشغالهم في حفظ هذا الأمر زادهم فصاحة و بلاغة، و لهذا أثمر العصر الإسلامي شعراء كانوا أعلى طبقة من عديد الشعراء الجاهلين.

المحاضرة 04

الشعر السياسي في العصر الأموي

- عثمان بن عفان : استشهد سنة 35هـ
- علي بن أبي طالب : استشهد 17 رمضان سنة 41هـ
- عبد الله بن الزبير ك استشهد سنة 73هـ.(مصر- الحجاز -اليمن- العراق)

أسباب ظهور الشعر السياسي في العصر الأموي:

- نشوء عدد من الأحزاب السياسية من بينها الخوارج و الأمويين و الشيعة
- اندلاع الصراع حول الحكم
- رغبة العامة الاطلاع على هذا الشعر
- التنافس بين الشعراء أنفسهم

خصائصه:

- احتواؤه على الألفاظ الجزلة السهلة، التي تتصف بالعدوبة و الرقة.
- استخدام التصوير الفني في إيضاح الأفكار و المعاني و إبرازها .
- انتهاج أسلوب الشعر الجاهلي من حيث تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة.
- اتباع نظام الوزن و القافية في الشعر السياسي
- اقتباس ألفاظ قرآنية، و التأثر بالقرآن بشكل ملحوظ.

عيوبه:

- استعمال شرارة العصبية القبيلة التي دعا الإسلام للقضاء عليها.
- الدعوة إلى المفاخرة بالحسب و النسب.
- الخروج عن روح الإسلام و مبادئه بنظم قصائد الهجاء للأذى.

نشأة الشعر السياسي عند العرب:

يرى كثير من الدارسين أنّ الشعر الذي دافع عن القبيلة و سجّل مآثرها ووقائع حروبها و أيّامها هو لنواة الأولى لظهور الشعر السياسي، باعتبار أن القبيلة كانت تمثل وحدة سياسية منفردة بآرائها و أعرافها منذ العصر الجاهلي، و لكن آخرون يرون أن صدر الإسلام هو الحاضنة لظهور هذا الشعر، باعتبار الإسلام حركة سياسية لها خصوم و مناصرون على الرّغم من أنّ هذا الشعر لم يضرب جذوره في الأرض لقصر فترة صدر الإسلام.

ولذلك رأى فريق ثالث من أن هذا الشعر نشأ وليدا للعصبية القبيلة بين فخذين لقبيلة واحدة هما:

بنو عبد المطلب، و بنو أمية، اللذان أوصلتهما الخلافات السياسية إلى معركة صفين، و حادثة التحكيم، التي أعقبتها ظهور فئة ثالثة عُرفت بالخوارج.

وقد خلّد التاريخ مساجلاتهم الشعرية الحامية، واكتملت أركان هذا الشعر في هاته الفترة اللاحقة التي سميت عصر بني أمية. حيث تمخضت الفتنة الكبرى عن انشقاق في الأمة و ظهور أحزاب و تكتلات أهمها:

- **الحزب الأموي:** الذي استحوذ على السلطة و الحكم.
- **الحزب العلوي:** الذي يمثله آل البيت و شيعة الإمام علي.
- **الخوارج:** الذي خرجوا على الإمام علي بعد قبوله التحكيم.
- **الحزب الزبيري:** الذي ظهر بعد مقتل الإمام علي و تزعمه عبد الله بن الزبير ثم أخيه مصعب.

عوامل ازدهار الشعر السياسي:

- تعدّد الأحزاب السياسية.
- اهتمام الحكام بالشعراء.
- ازدهار الثقافة الأدبية.
- ازدهار الثقافة الدينية.
- التحريض على التهاجي.

أهم شعراء الشعر السياسي في العصر الأموي:

- **شعراء العلويين :** و منهم أيمن بن خريم، و الكُميت و هم أشعر من قرض الشعر في هذا السياق، فكانوا أدق إحساسا و أرّق شاعرية، لما شاهدوه من إضطهاد أصاب آل البيت و شيعة الإمام علي.
- **شعراء الزبيريين:** كانوا قلة و متغيري المزاج، ويذكر منهم : إسماعيل بن يسار، و ابن قيس الرقيات الذي عُرف بمعاداته لبني أمية.
- **شعراء الخوارج:** و هم أكثر الشعراء ثباتا على قناعاتهم السياسية و إيماننا بعقيدتهم، فلم يجنحوا للشعر طلبا للمال، و هم أبناء معارك و أبطال مشادات، منهم: الطرماح بن حكيم، و هو أشهرهم و أغزرهم شعرا، و منهم عمران بن حطان.
- **شعراء بني أمية:** وكانوا أكثر عددا، و قد التفوا حول السلطة تكسبا وطمعا، و قد تحوّل كثير من شعراء الزبيريين و الشيعة إلى بني أمية بعدما يؤسوا من الوصول إلى السلطة.

ويعتبر الشعر السياسي في هذا العصر تأريخ حقيقي لما حصل من وقائع حربية و أحداث. و هو وثيقة تبرز التوجهات العقدية و السياسية لأصحابه و أحزابهم التي يدافعون عنها.

محاضرة 05:

الشعر العباسي بين التقليد و التجديد

شهد العصر العباسي أكبر نهضة ثقافية في تاريخ الحضارة الإسلامية ، بتأثير ثقافات مختلفة (فارسية- هندية – يونانية)

حيث انصهر الكلّ في بوتقة الإسلام الذي شكّل هذه الحضارة الجديدة .

و قد تأثر الشعر بهذه النهضة فتطور تطورا خطيرا شمل الكثير من جوانبه.

و رغم أن الشعر العباسي ظلّ يدور في فلك الأغراض الشعرية المعروفة ، إلا أنه أحدث قفزة نوعية في هذه الأغراض، مع تطرقه لبعض الأغراض الجديدة .

1/ المديح:

وقد حظي باهتمام كبير من قبل الشعراء العباسيين، و يمكن تصنيفه ضمن إطارين عامين هما :

- المدائح النبوية

- مديح الملوك و الأمراء و الطبقات المتميزة

و كان الشاعر يحاول الإجادة في مديحه لنيل أقصى عطاء ممكن من ممدوحه.

و رغبة من الشاعر في إضفاء لمسات التجديد، كان لا بدّ أن يتطرق إلى الأحداث المعاصرة، و بخاصة تلك التي أسهم فيها ممدوحه، و بذلك أكتسب هذا الشعر قيمة تاريخية فوق قيمته الأدبية .

و يمكن أن يكون لهذه الأحداث مذاقها الإسلامي لدى الشاعر فتثير وجدانه الديني. و لعلّ بائية أبي تمام في فتح عمورية مثال واضح على ذلك حينما يقول :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحدّ بين الجدّ و اللّعب

و قد شعر الخلفاء بحاجتهم إلى تدعيم قواعد ملكهم، و إقناع المسلمين بأحقّيتهم في الخلافة، فكان الشعر خير وسيلة لتحقيق ذلك، و تبارى الشعراء في الإشادة ببني العباس، و الإزراء بالعلويين المنافسين تلهفا على عطايا الخلفاء المسرفة ، مثلما حصل مع " أبي دلّامة " . و قد قال أحدهم:

إن الخلافة لم تكن بخلافة حتّى استقرت في بني العباس

ولعلّ ما لحق المدح من تطور في العصر العباسي أنّه صار لونا من الأدب السياسي.

و ممّا يلاحظ على هذا الشعر ميله إلى الإسراف و الغلو، مثلما قال: " منصور الثمري" يمدح هارون الرشيد:

أي امرئ بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع

و قد اتجه المدح اتجاهها جديدا في مدح المدن و تفضيلها، و على الرغم من شيوع البناء التقليدي في قصيدة المدح ترك العصر أثره على كثير من شعره ، فجدد في الشكل الفني بعد أن بالغ في التجديد في المضمون الشعري.

و كذلك نجد البساطة في الأداء ، و الخفة في الوزن ، نلمسها في مذب أبي العتاهية للمهدي:

أَتَتْهُ الْخُلَافَةُ مِنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
و لَمْ تَكْ تَصْلَحْ إِلَّا لَهُ و لَمْ يَكْ يَصْلَحْ إِلَّا لَهَا

2/الهجاء:

لقد بالغ الشعراء في هذا الفن ، حتّى ليعد الهجاء السابق عليهم ذا شأن يسير في الإقذاع و الفحش بالنسبة لنتاجهم الهجائي، و لا شك أنّ لضعف الوازع الديني و انغماس الناس في اللذات أثرا في بذاءة الهجاء، و الافتنان في اختراع معانيه الطريفة، فهذا أبو نواس يهجو (المفضل بن سيابة) بالبخل قائلا:

خبز المفضل مكتوب عليه ألا لا بارك الله في ضيف إذا شبعنا

و ممّا يلاحظ في الهجاء في هذا العصر التركيز على الانحراف الديني عند المهجو و شذوذه و زندقته أحيانا ، و كذلك السخرية من الأدعياء الذين ينتسبون إلى أصل عربي و ماهم بالعرب ، و ذلك كقول (بشار) في أبي عمرو بن العلاء ، و كان يغمز في نسبه:

أ رفق بعمرو إذا حرّكت نسبته فإنه عربي من قوارير

3/ الغزل :

لقد تحوّل الغزل في هذا العصر إلى شبه دعارة و فجور و استجابات صارخة لأحط غرائز الإنسان ، بعدما انتشرت مجالس اللّهو و الشراب التي امتلأت بالقيان و الغلمان، و قد نقل الشعراء إلى الغلمان معظم الأساليب الغزلية التي كان يتوجه بها إلى المرأة. و لذلك فقد انتهك الغزل في هذا العصر قيم المجتمع، و لم يضاف كثيرا إلى هذا التراث من الناحية الفنية ، إن لم يكن قد أساء إليه.

و من ناحية الشكل فهو انعكاس أمين لما طرأ من تحول حضاري ، و قد ابتعدت لغته عن اللّغة الجزلة ، و اقتربت من لغة الناس و حاكت كثيرا ممّا يدور في واقع حياتهم.

4/ الرثاء :

اتّسع مداه في هذا العصر ، فقد رثى الشعراء الخلفاء و القادة المشهورين، و أجادوا في ذلك ، كما انتشر لون اخر من الرثاء يتمثل في بكاء الأساتذة و العلماء ، كما فعل (ابن وهبون تلميذ اللّغوي الشهير (ابن سيده) ، و إلى جانب ذلك ازدهر لون اخر من هذا الفن يمكن أن نطلق عليه (الرثاء المذهبي) ، حيث كثرت نماذجه في المجتمع العباسي الذي شمل أحزابا متعددة أهمها الحزب العلوي ، الذي سقط كثير من شيعته فرثاهم الشعراء رثاء صادقا يشف عن اللّوعة المكتومة أمام توالي المحن .

و ظهر لون طريف من الرثاء هو (رثاء الحيوانات الأليفة، و ربما يعود ذلك إلى الجو المترف المنعم الذي عاش فيه هؤلاء و الذي دعاهم إلى التعبير عن مثل هذه المواقف.

5/ الزهد :

في اتجاه معاكس للشعر الماجن نشأت نزعة أخرى مضادة تجلت في شعر الزهد ، الذي كان زعيمه أبو العتاهية ، و تفرع منه شعر الحكمة و تهذيب النفس بضرب الأمثال و قص الحكايات.
قال أبو العتاهية:

الموت عنا قريب	و ليس عنا بنازح
في كل يوم نعي	تصبح منه الصوائح
فاعمل ليوم عبوس	من شدة الهول قادح

6/ الوصف :

لقد أصبح وصف الرياض فرعا يانعا من فروع الوصف حتى صارت الزهريات من أوسع فنون الشعر ، فلم تبق زهرة و لا ريحانة إلا أتبعها الشعراء وصفا ، و افتننا في تصويرها و قد سيطر على وجدان كثير من الشعراء و بخاصة (البحترى) الذي وجد فيه متنفسا لأشواقه الفنية ، و تلاقيا مع نفسه الحساسة الشاعرة . فهو يقول في دجلة و ما يحيط بشاطئها :

تريك اليواقيت منثورة	و قد جلل النور ظهرانها
غرائب تخطف لحظ العيون	إذا جلت الشمس ألوانها

فنون أدبية جديدة :

إنّ نزعة الشعوبية و الشعر المتعلق بها ، لم تكن سوى تطوير لشعر العصبية ، التي كانت في العصر الجاهلي عصبية قبلية ، و في العصر الأموي قبلية وسياسية و مذهبية ، أما في العصر العباسي فقد خفت صوت هاتين العصبيتين، و علا عليها صوت العصبية العرقية التي نشأت عنها ظاهرة الشعوبية.

كما ظهر شعر السخرية و الفكاهة وسط هذه الحياة صاحبة اللاهية، و الحقيقة أنّ هذا اللون هو الذي تظهر فيه مقدرة الشاعر على التشخيص و صياغة الصور الفنية في أسلوب محبوب للناس .

وقد استحدث الشعراء العباسيون لونا اخر من الشعر سمي بالشعر التعليمي لم تكن له أصول قديمة ، و إنما دفع إليه رقي الحياة العقلية وتنوع روافد الثقافة ، حيث لجأ بعض الشعراء إلى نظم بعض القصص ، كما خلفوا الكثير من المتون المنظومة في كثير من العلوم و المواعظ و كان لإبان بن عبد الحميد فضل إشاعة هذا اللون من الشعر ، حيث نظم كتاب كليله و دمنه مستهلا بقوله :

هذا كتاب أدب و محنه و هو الذي يدعى كليله دمنه
فيه دلالات و فيه رشد و هو كتاب وضعتـه الهند
فوصفوا آداب كل عالم حكاية عن ألسن البهائم

و الحقيقة أنّ عدّ مثل هذه المنظومات من الشعر فيه كثير من التجوز ، فالشعر ليس هو الكلام المزون المقفى فحسب ، بل هو يبتعد عن المباشرة و التقريرية إلى حدّ بعيد ، لأن جوهره الإيحاء ، المعبر عن المشاعر المتصلة بوجدان الإنسان ، معتمدا على الصّورة في تشكيل مضمونه ، و هو يتعامل مع اللّغة بطريقة مغايرة تماما عن هذا النظم التعليمي .

و قد حقّق الشاعر العباسي قدرا من التطور بموسيقى الشعر ، فأضاف إلى الإستعمالات السابقة للبحور استعمالات أخرى ، و نظم على بحر جديد اكتشفه الأخفش سمّي بالمتدارك.

كذلك عمد إلى البحور الشعرية المهجورة فأحيّاها ، و غدت قوالب موسيقية مألوفة تتسع لكثير من التجارب الفنية ، فمن هذه البحور (المقتضب الذي ضرب عليه أبو نواس) قائلا :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب
إن بكى يحقّ له ليس ما به تعب

و من التجديد في هذا العصر : استخدامهم للمسمطات التي جاءت غالبا على بحر الرّجز ، و هي قصائد تتألف من أدوار ، كل دور يتكون من أربعة أشطر أو أكثر ، تتفق كلّها في القافية ، ما عدا الشطر الأخير.

و قد وصل أمر التجديد في القافية إلى تحرر بعض الشعراء منها تحرّرا كاملا ، و بذلك فهم يعدّون الآباء القدامى للتجديد الموسيقى الذي طرأ على الشعر العربي في العصر الحديث .

و من الطبيعي أن يختلف الشكل الفني في العصر العباسي عن التراث السابق عليه ، تبعا لاختلاف الحياة العباسية عمّا قبلها اختلافا جذريا ، أدّى إلى إدراك علائق جديدة بين الأشياء لم تكن موجودة أصلا ، أو توسع فيما كان منها موجودا .

و قد أخذ الشعراء في هذا العصر يتبارون في الإكثار من المحسنات البديعية و العمد إليها عمدا ، مع استنباط المعاني الدقيقة الجديدة و تصويرها تصويرا فنيا .

ومن ظواهر الإفتنان في تصوير المعاني إكثارهم من ضرب المثل و حسن التعليل ، و قد ساعدهم على ذلك الحركة العقلية المزدهرة و ما أحاطت به من الثقافات المتنوعة ، ومن نماذج هذا الإتجاه قول أبي تمام :

و طول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فإني رأيت الشمس زيدت محبّة إلى الناس أن ليست عليه بسرمد

كما استخدمت في هذا الشعر الكثير من البراهين العقلية للتدليل على ما يريد الشاعر ، مع بروز أثر الآراء الفلسفية ، و قد تطورت هذه النزعة حتّى أصبحت عند بعض الشعراء كالمتنبي و أبي العلاء المعرّي مذهباً متميّزا اقتربوا فيه كثيرا من الفلسفة ، و هذا ما نراه في " لزوميات " المعرّي .

المحاضرة 06:

الزهد و التصوف في الشعر العباسي

ظاهرة الزهد ليست طارئة جديدة على العصر العباسي فهي لها جذور و أصول قبل ذلك، حيث نجد العديد من أشعار العصر الاسلامي الأول تتضمن معاني الزهد و قطع أسباب الإتصال بلهو الحياة الدنيا و ملذاتها ، إلا أنه يمكن القول بأن هنا اللون الشعري استقام فناً قائماً بذاته في العصر العباسي، ليكون تياراً معاكساً للزندقة و الإباحية و المجون الذي ظهر وقت ذاك.

و الزهد مضمونه النقشف و الإدبار عن ملذات الدنيا و شهواتها، و الميل إلى العبادة لبلوغ رضا الله، و عليه فهو سبيل يتطلب جهداً و إرادة في محاربة هوى النفس . و قد ظهر في العصر العباسي شعراء كثيرون يمثلون هذا الاتجاه من أمثال : عبد الله بن المبارك، و محمد بن كناسة، و محمود الوراق الذي كان يقول:

من كان ذا مال كثير ولم يقنع فذاك الموسر المعسر
و كل من كان قنوعاً و إن كان مُقلاً فهو المكثر

و للنساء نصيب في شعر الزهد و التصوف و الاستغراق في حب الله، و لعلّ أشعار رابعة العدوية من أجمل ما قيل في هذا المضمار، فهي تقول :

أحبك حبين: حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواكا
و أما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتّى أراكا
فلا الحمد في ذا وذاك لي ولكن لك الحمد في ذا و ذاكا

ومما يلاحظ أن الكثير من الشعراء الماجنين يعودون في آخر حياتهم إلى حياة الزهد والاعتراف أمام الله ، وطلب التوبة و الغفران.. مثل ما نجد أبا نواس الشاعر الماجن العابث الذي يقول في أخريات عمره:

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ و يستجير المجرم

وقد امتازت أشعار الزهد بصدق العاطفة و حرارة المشاعر للقرب من مناجاة الخالق.

و أما التصوف فقد اختلف في أصل هذا المفهوم ، فقد رأى البعض أنّه من الصّفاء، و قيل من الصّفة، و قيل أنه من الصّف الأول، و قيل من الكلمة اليونانية (صوفيا) التي تعني الحكمة، و على الأرجح فإنّ التصوف مصدر الفعل الخماسي تصوّف الذي هو من الصّوف، و هو في الاصطلاح، طريقة سلوكية قوامها النقشف و التحلّي

بالفضائل لتزكو النفس و تسمو الرّوح، و هو في مجمله يقوم على مجموعة من المبادئ يعتمدها المتصوفة، و آداب يتأدّبون بها في مجتمعاتهم و في خلواتهم.

و يتداخل مفهوم الزّهد و التصوف حدّ التماهي، ولكن التصوّف مرحلة تالية للزّهد زمنيا. يقول ابن خلدون في مقدمته:

" وكان ذلك (الزهد) في الصحابة و السّلف، و لمّا عمّ الإقبال على الدّنيا في القرن الثاني، و ما بعده، و جنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا، اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفية أو المتصوّفة".

و كان من هؤلاء شعراء خلّهم التاريخ من أمثال: ابن الفارض، و الحلاج، و ابن العربي و الذين يقول:

ليت شعري هل دروا	أيّ قلب ملّكوا
و فؤادي لو درى	أيّ شعب سلّكوا
أتراهم سلّموا	أم تراهم هلّكوا
حار أرباب الهوى	في الهوى و ارتبكوا

خصائص شعر الزهد:

- سهولة و بساطة الصياغة.
- الخروج عن الأوزان التقليدية.
- تكرار أسلوب الخطابة الوعظية.
- الإكثار من الأساليب الإنشائية.
- توظيف الحكمة ذات الطابع الفلسفي.
- النزعة الدينية التي تميل أحيانا إلى التشدّد.
- بروز ظاهرتي الاقتباس و التضمين من النصوص الدينية.
- الإكثار من الأدلة و البراهين و الحجج.
- استعمال أسلوب الترهيب و الترغيب بشكل مباشر.
- استعمال المحسنات البديعية و اللفظية بشكل كبير.
- أبرز شعرائه من الفقراء أو ممن تقدّم بهم السر أو المتدينين.

وزاد المتصوفة:

- الفناء في حب الله.
- استعمال الرمز بقوة.
- ظهور بعض المصطلحات الخاصة.

المحاضرة 07:

قصيدة المديح في الشعر العربي القديم

- كان المدح من الأغراض الشعرية الرئيسية في الأدب العربي، ولم يتأخر عن سائر الأغراض كما يذهب بعض المحققين.
 - الشاعر الجاهلي كان يحافظ على كرامته في مدح الملوك و السادة و لم يتذلل لهم وهو في أشد الحاجة إلى عطائهم.
 - كان الخلفاء يحبّون المبالغة و الاغراق في مدحهم، ويجزلون العطاء فيهما.
 - بدأ معظم الشعراء قصائدهم في المدح بالوقوف على الأطلال و الدّيار و البكاء عليها ووصف الأوبة.
 - ثار أبو نواس على نظام القصيدة المدحية، ولم ينجح في القضاء على هذا النظام. لأمرين: سعيه في تحقير العرب و تعويضه هذا النّظام بوصف الخمر و القيان و مجالس اللّهو.
- و ما زلت أبغي المال مد أنا يافع
وليدا و كهلا حين شبت و أمردا

المدح: * لغة: المدح نقيض الهجاء، و هو حسن الثناء و الجمع مدائح و أماديح.. يقال : " مدحته مدحة واحدة، ومدحه، يمدحه و مدحة ، قال أبو دؤيب:

لو كان مدحة حي منشرا أحدا
أحيا أياكّن - يا ليلي - الأماديح

● **اصطلاحاً:** هو تعداد لجميل المزايا، و رصف للشمائل الكريمة، و إظهار للتقدير الكبير الذي يكتّنه الشاعر لممدوحه.

وفن المدح من الأغراض الشعرية الأساسية الذي عرفته القصيدة العربية منذ العصر الجاهلي، على الرّغم من أن بعض الباحثين المحدثين يذهبون إلى أن القصيدة الجاهلية لم تعرف هذا الفن إلّا على استحياء. حيث كان مديح العرب في عصورهم الأولى فخرا كلّه، باعتبار الاعتماد على النفس كان فضيلة و أساس الطبيعة البدوية السائدة.

ولم يتخذ غرض المدح صبغة التكسب إلّا فيما بعد بقول ابن رشيق: " و كانت العرب لا تتكسّب بالشعر، و إنّما يضع أحدهم ما يضعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقّها إلّا بالشكر و إعظاما لها".

و ربّما كان النّابغة الذبياني من الأوائل الذين قبلوا الصّلة على الشعر و تكسّب من ذلك مالا جسيما حتّى كان أكله و شربه في صحاف الذهب و الفضّة و أوانيه.

وتكسب زهير بن أبي سلمى بالشعر يسيرا مع " هرم بن سنان" ، فلمّا جاء " الأعشى " قصد بشعره حتى ملوك العجم.

حيث يقول:

عمان فحمص فأقرى شلم

وقد طفت للمال آفاقه

و أزمّن النبط و أرض العجم

أتيت النجاشي في أرضه

وبالرغم مما قيل في الأعشى و جنوحه إلى التكسب بالشعر فإنّ المعاني و الصفات التي يخلعها على ممدوحه لا تخرج عن مجمل القيم.

ومن هنا فإنّ المدح في العصر الجاهلي أعتبر غرضاً شعرياً يراد به مدح السادة و شكرهم و الإشادة بمكارم أخلاقهم، و عظم جودهم و كرمهم، في حين أصبح عند آخرين وسيلة للاسترزاق و التكسب.

شعر المديح في العصر الاسلامي:

تحول المدح في هذا العصر من غرض التكسب إلى التدين و الإشادة بصفات النبي و الصحابة رضوان الله عليهم.

و لم تتطور معاني المدح كثيراً فهي نفسها ، و قد ظلّت على عهدّها مع الإضافة و التعديل الذين جاء بهم الدين الجديد حيث يقول – النبي – ص: " إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " و من الملاحظ أن المديح في الشعر الإسلامي قد تحرّرت بعض الشيء من الأساليب الجاهلية، فاتّسم بالوضوح و السهولة و جزالة التركيب، و ساعدهم على ذلك دراستهم لكتاب الله تعالى حيث هدّبت النفوس و رقت الطباع .يقول حسّان:

و أجمل منك لم تلد النساء

وأحسن منك لم تر قط عيني

كأنك قد خلقت كما تشاء

خلقت مبرء من كل عيب

شعر المديح في العصر الأموي:

في هذا العصر تطور هذا الغرض و ظهر في صور تجلّلتها الأوصاف الرنانة و المبالغة التي تكذب الكذب و المحال، و قد لبس المدح ثوب السياسة لتعدّد الأحزاب. أين كانت الشام مركز خلافة الأمويين التي اجتذبت الشعراء المادحين محبين كانوا أو متملقين ، وقد كان جرير و الفرزدق و الأخطل من أشهر الشعراء المساندين للحزب الأموي.

و قد كان مدح هؤلاء الشعراء خليطاً من الهجاء و الفخر بالعصبيات القبلية القديمة، و الإشادة بأمجاد الأمويين.

يقول الفرزدق في مدح عبد الملك بن مروان:

بالنصح و العلم قولاً غير مكذوب

إذا أتيت أمير المؤمنين فقل

و صاحب الله فيها غير مغلوب

فالأرض لله ولّاها خليفته

و في ظل الصّراع الذي حصل بين الأحزاب السياسية التي ظهرت، تضافرت بعض العوامل ليغطي فن المديح على سائر الفنون، و قد وجّه إليه الشعراء جلّ عنايتهم لتجويده و تحسينه.

شعر المديح في العصر العباسي:

لقد اتّسعت مضامين قصيدة المدح في العصر العباسي بشكل ملحوظ، حيث جعلها الشعراء سجّلا لأحداث العصر كالانتصارات و الحروب و الفتن الداخلية كما طرأت عليها بعض مظاهر التجديد حتّى في بنائها الشكلي لكنها لم تغير من طريقتها الفنية. وهذا ما نراه مع أبو نواس قائد هذه الحركة التجديدية الذي يقول:

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولعلّ ملامح التقليد و التجديد التي درسناها في الأدب العربي القديم تظهر في شعر المديح في هذا العصر بشكل واضح، و ربّما من التطورات التي شهدتها مضامين قصيدة المدح تحولها من نطاق القبلية إلى نطاق الحزب، و من نطاق العاطفة الفردية إلى رحاب العقيدة كمال هو الحال في شعر الخوارج و الشيعة.

إضافة إلى الجنوح إلى المبالغة في رسم صفات الممدوح على النحو الذي نجده عند المتنبي في مدحه سيف الدولة:

تظل ملوك الأرض خاشعة له تفارقه هلكى وتلقاه سُجدا

و قد كان المدح من أقوى فنون الشعر العربي في العصرين الأموي و العباسي، ذلك أن الحكام كانوا يتنافسون في ترغيب الشعراء بالعطايا، فجعلوا من الشعر منبرا للدعاية و الترويج تماما كما تفعله الصحافة و أجهزة التواصل اليوم.